مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (٢٨)

تهويد القرى والمدن الفلسطينية في القصيدة العبرية المعاصرة

(التفريغ والتغييب)

إعداد

الباحث / موفق كامل خلف
لدرجة الدكتوراة فى اللغة العبرية وآدابها
مدرس مساعد بكلية الآداب - جامعة الانبار - العراق

السنة ٢٧ العدد (١٠٧) أكتوبر ٢٠١٦م
http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rifa2012@ Gmail.com

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تهويد القرى والمدن الفلسطينية في القصيدة العبرية المعاصرة
(التفريغ والتغييب).

الباحث/ موفق كامل خلف
لدرجة الدكتوراه في اللغة العبرية وآدابها
مدرس مساعد بكلية الآداب/ جامعة الانبار/ العراق

المقدمة

عمل الأدب العبري المعاصر على طمس وتغييب كل ما من شأنه دليل على عروبة القرى والمدن الفلسطينية، وفي المقابل يحاول التأكيد على صورتها اليهودية، وإثبات الحق الديني والتاريخي المزعوم لليهود عليها؛ فغيّب الانسان العربي في توافق تام مع النهج الصهيوني الرامي إلى تهويدها؛ عبر تهويد الزمان والمكان، واختلاق الذرائع، في أنّ لليهود جذور تاريخية فيها، "لذلك فإن صورة الشخصية العربية في هذا الأدب لا تُستمد من واقع تاريخي قائم ومتجذر في فلسطين؛ وإنما من تلافيف وتلفيق العقل الصهيوني، الذي يُجرّدها من أبسط صور الانسانية، ويلصق بها الأوصاف البدائية المتخلفة، ويحرمها من مقومات المجتمع البشري المستقر"(١).

وتُعد الأحداث التي جرت قبل حرب ١٩٤٨ وخلالها، بمثابة نقطة البداية لتفريغ القرى والمدن الفلسطينية، وطمس معالمها الجغرافية، والتاريخية، والإسلامية، وإحلال جغرافيا عبرية توراتية يهودية بدلاً عنها، ومحوها من الذاكرة؛ عبر إقصائها من مشهد التخاطب والحوار في إسرائيل، "إذ دلت الإحصائيات التي أُجريت في فلسطين، على أنّ أكثر من ٤١٨ قرية عربية دُمرت بالكامل، في عمليات ممنهجة؛ من أجل محو كل ما من شأنه دليل على عروبتها وأصالتها"(٢). وخير دليل على تلك العمليات، تجاه الزمان والمكان الفلسطيني، هي بعض قصائد المجموعة الشعرية "لا تخبروا في جت" "אל תגידו בגת"، والتي يقول عنها الأديب الإسرائيلي عميحاي شاليف " يبدو جلياً كيف محت بعض القصائد العبرية كل آثار النكبة الفلسطينية، ولكنها تعاملت معها في نفس الوقت!، فنرى بيوتاً مهدمة، وقرى مهجورة، دون أن نعرف من سكنها، ونقرأ عن حقول وبساتين تم حرقها؛ دون أن نعرف أصحابها؛ لأن المساحة الجغرافية للمكان، أصبحت هي البطل، الذي تعاملت معه القصائد، وليس البشر،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الذين جرت عليهم تلك الأفعال، وبعبارة أخرى فإن الشعر العبري تعامل مع النكبة كونها حصلت فعلاً، ويعترف بها، ولكنه يُنكر الانسان الفلسطيني الذي تعرض لأحداثها"(٣).

ويؤكد الكثير من المؤرخين، والشعراء، والأدباء الإسرائيليين عمليات التفريغ والتغييب، التي ارتكبتها إسرائيل ضد القرى والمدن الفلسطينية؛ تمهيداً لقيام جيل جديد يحمل هوية يهودية تدفعه إلى التمسك بالأرض والدفاع عنها. وهو ما أكّده الناقد الإسرائيلي أريئيل هيرشبيلد بقوله "لقد طمست إسرائيل صنيعها، وحولت القرى والمدن الفلسطينية إلى مناظر طبيعية، ومحت أسماءها العربية،... وإنّ المزج بين مشاعر العدل والاتهام في نفس الوقت؛ يُعد أمراً قاتلاً، فهو يغيّب الوعي عن النكبة، ويقتلعه من الذاكرة بصورة جذرية، إذ أدرك قادة الاستيطان على أنّهم يصنعون شيئاً لا بد أن تكون قدرة التغييب والإنكار فيه مكتملةً، ولا تشوبها أية شائبة"(٤).

وتأكيداً على ذلك تقول الباحثة الإسرائيلية نوجا كدمان "تتركز منهجية إسرائيل في طمس ومحو معالم النكبة، والقرى الفلسطينية من مشهد الحوار من خلال وسائل عدة، منها محو تسميات الأماكن الفلسطينية أو عبرنتها، وإزالتها من الخرائط، ومنها أيضاً تجاهل السلطات الإسرائيلية للآثار التاريخية لها، في حين نجدها في المقابل تهتم بإظهار الصلة اليهودية للمكان من الناحية التاريخية"(٥). وللتأكيد على مقولة "بلاد الصحراء"؛ فقد قامت إسرائيل بتدمير كل القرى العربية، وقد أورد المؤرخ إسرائيل شاحاك سنة ١٩٧٥ قائمة بأسماء ٣٨٥ قرية عربية فلسطينية دُمرت بالكامل، وقال "وليسهل بعد ذلك إقناع العالم، بأن فلسطين قبل إسرائيل لم تكن سوى صحراء، فقد دُكت مئات القرى الفلسطينية، وسُويت بالأرض كل معالمها"(٦). وما أكدته الكثير من الأعمال الأدبية، ومنها رواية "أمام الغابات" "מול היערות" للأديب أ.ب يهوشواع، التي يقول فيها على لسان شاب يهودي؛ بأنّ كل المستوطنات اليهودية أُقيمت على أنقاض القرى والمدن الفلسطينية بقوله "أين القرية المشار إليها في الخريطة؟ يجب أن تكون في هذه المنطقة قرية مهجورة...، ويوحي إليه بالإشارات ويحرك رأسه، وكأنه يقول له كان هنا بيتي، وكانت هنا قريتي، وهنا خبأوا كل شيء، لقد دفنوا كل شيء تحت هذه الغابة "(٧).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد سار الشعر العبري على هذا النهج، على الرغم من محاولته اظهار التعاطف الإنساني تجاه ما حل بالفلسطينيين؛ فقد تجاهل أسماء القرى والمدن، ووصفها دون هوية، وعمل على تحقيق أهداف الصهيونية في تفريغ القرى الفلسطينية وتغييبها، ومن هنا؛ نجد إنّ الشعر العبري الذي روج للصهيونية ودولة اليهود، التي تسببت في قتل وطرد الفلسطينيين، كان له دور أيضاً، في التغطية والتمويه على تلك الجرائم. وحول ما رافق تلك الأحداث من مشاهد وثقها الشعراء في قصائدهم، سوف نتناول القصائد محل الدراسة وفق المحاور الآتية:

أولاً: تفريغ القرى والمدن الفلسطينية وتغييبها بالكامل.

هناك بعض القصائد التي سار منظموها على النهج الصهيوني؛ في تفريغ القرى والمدن الفلسطينية وتغييبها، وعدم ذكر أي إشارة تدل عليها؛ من خلال وصفها بـ (مشهد القرى المهجورة، قرية مهجورة، وقرية ميتة، ولم أعرف المدينة، ومشهد الرمال ...إلخ). حيث يطالعنا الشاعر الإسرائيلي دانيال بن ناحوم بقصيدته "כפר נטוש" "قرية مهجورة"، نشرتها صحيفة "על המשמר" "عل همشمار" في مايو ١٩٥٠، يتحدث فيها عن قرية فلسطينية طالها التفريغ والتدمير، وطُمست كل معالمها، دون ذكر اسمها يقول فيها:

הֶעָשָׁן הַכָּבֵד מִתְאַבֵּךְ עַל הַכְּפָר	دخان كثيف حلق في سماء القرية
אֹפֶל מִפִּתְחֵי בָּתֵּי חֹמֶר	يتدافع في ظلمة بين الأكواخ الطينية
...	
זֶה אֵין רַחֲמִים וְאֵין תְּמַהּ.	وفي هذه المعركة لا رحمة ولا عجب
בְּעָשָׁן כְּפָר שׁוֹמֵם، עַד זוֹמֵם	فها هي قرية خربة تحتضر بين الدخان والمؤامرة
צָהַל-חַג، קוֹל הַטַּף، לַחַן-	وأكواخ تنهار بين عويل وصراخ الطفولة وأنين الأمهات

ومن عنوان القصيدة "נטוש" "مهجورة"، الذي يُضفي نوع من الضبابية والإشكالية، التي تختفي وراءها العنصر المسبب لكل تلك الأفعال، يتحدث الشاعر عن إحدى القرى، التي

"בְּקֶרֶב זֶה אֵין רַחֲמִים וְאֵין תְּמַהּ" في أحرقها اليهود، وأفرغوها من كل أشكال الحياة، "בְּקֶרֶב זֶה אֵין רַחֲמִים וְאֵין תְּמַהּ" في معركة لا تعرف أي رحمة أو عجب"، وغطى القرية الدخان والحرائق، "גַּח אֹפֶל מִפִּתְחֵי בָּתֵּי חֹמֶר" "يتدافع في ظلمة من الأكواخ الطينية"، ثم تزحف إلى البساتين، والمنحنيات، وسفوح الجبال "הוּא זוֹחֵל בְּמִקְשׁוֹת בְּשִׁפּוּעַ הָהָר" "يزحف في هدوء بين منحدرات الجبل"، دون أن يوقف زحفها أحد، وتلتف بالأشجار وتحرقها، "שָׁף עֵקֶב עֲצֵי-זַיִת וְתֹמֶר" "يحتك بأشجار الزيتون والنخل"، الذي يُعد رمز السلام والعيش الرغيد في فلسطين. ويصور الشاعر قرية "خربة" الفلسطينية، وهي تحتضر بين "כֹּה יִכְלֶה בְּעָשָׁן כְּפָר שׁוֹמֵם، עַד זוֹמֵם" "الدخان والمؤامرة"، ويصف "בִּקְתוֹת-מֵק، צַהַל-חַג" "صراخ الأطفال" "קוֹל הַטַּף، לַחַן-אֵם" "وأنين الامهات" الثكالى، فكم من أم تركت وليدها، ولم تستطيع الوصول إليه!، تحت وطأة الترويع والقتل!. ويصف العربي، وهو يخطو "בְּשַׁעַל אֵשׁ פּוֹסֵעַ בְּמַטְלִית שֶׁל בָּר" بين النيران "بلباس قمحي" ويقف فوق أحد التلال، وكأنه غريب "שָׁב וְזָר" "عائداً وغريباً"، ينظر إلى قريته، التي احترقت، فغدى فيها غريباً. ورغم كل ذلك إلا إنّ محرر المجموعة الشعرية حنان حيفر قد أنكر سياسات التفريغ بقوله "لم يكن هناك مخطط للطرد الجماعي، فقد اتفق القادة العسكريون على أنّه من الأفضل أن تقوم الدولة اليهودية بوجود أقلية عربية صغيرة"(٩). على إنّ الواقع يقتضي بأنّ هذه الرؤية حتى وإن كانت صحيحة؛ فهي تتعارض مع رفض إسرائيل عودة اللاجئين الفلسطينيين، والانسحاب من الأراضي المحتلة، علاوة على أنّها تقف بالضد من الهدف المعلن، الذي صدرت من أجله هذه المجموعة الشعرية(١٠).

ويطالعنا الشاعر الإسرائيلي "دان باجيس" "דן פגיס" في قصيدته "قرية ميتة" "הכפר המת"، نشرتها صحيفة "عل همشمار" "על המשמר" ١٩٥٥/٤/٦، يصف فيها إحدى القرى الفلسطينية التي طالها التفريغ والتغييب، وطمس معالمها العربية، دون ذكر اسمها أيضاً، يقول فيها:

בְּבוֹאֲךָ לְשֶׁקֶט הַשָּׂרוּף,	حال قدومك للسكون المحترق
לָאֲבָנִים וּלְחוֹמוֹת הַטִּיט,	للأحجار، للأسوار اللبنية
לִכְפָר הַמֵּת וְהֶעָרוּף,	للقرية الميتة، مقطوعة الرأس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

לאפר המרטיט, وللرماد المتناثر

לרחש הנטוש בין הקוצים(١١). وللحفيف المنبعث من بين الأشواك

من العنوان "قرية ميتة"، وفي حالة من شبه الإجماع على إنكار كون هناك قرى ومدن فلسطينية مدمرة تحت المستوطنات الإسرائيلية، فلا نجد إلا تسميات "قرية ميتة" و"قرية مهجورة" و"الصحراء المهجورة"، ويستمر الشاعر بقوله "בבואך" "حال قدومك" في حديث عن القاص اليهودي وبين بقايا "לאבנים ולחומות הטיט" "الأحجار، والأسوار اللبنية"، التي أصبحت ركام متناثر طال حتى "לשקט השרוף" "السكون المحترق" في كناية إلى شدة الدمار، الذي تعرضت له، والذي طال حتى السكون، فأصبحت المدينة موحشة لا أثر للحياة عليها، "לאפר המרטיט" "وتناثر الرماد" في كل مكان إلى درجة تهتك منها "לרחש הנטוש בין הקוצים" "الحفيف المنبعث من بين الأشواك" بفعل الرياح، "לכפר המת והערוף" "للقرية الميتة ومقطوعة الرأس"، وليس عند هذا الحد تنتهي حكاية هذه القرية، التي أُميتت وأُسكتت؛ بل إنّ الأهوال التي لحقت بها تثقل الذكارة والضمير الإنساني، وتُثير خُنق حتى المهاجرين اليهود "חרון עולים ומקיצים" "حنق المهجرين" وتقض مضاجعهم، لخوفهم من استهدافهم من قبل الجماهير العربية الغاضبة. ورغم كل تلك الأهوال التي لحقت بالمدينة؛ إلا إنّ الشاعر لم يذكر أي شيء عنها، أو عن اسمها، ذلك إنّ مسألة "التفريغ والتغييب"، يُراد منها تنشئة أجيال تؤمن بعدم وجود قرى ومدن فلسطينية، كانت في تعج بالحياة، تحت المستوطنات اليهودية. وتعقيباً على ذلك تقول الباحثة نوجا كدمان "إنّ نظرة الجهل التي رأيت من خلالها وأنا طفلة، خرائب قرية "لفتا"، ورؤيتها كمنظر طبيعي قديم؛ وليس كموطن للفلسطينيين قبل تهجيرهم، تشكل تعبيراً يدل على ذلك"(١٢).

ويروي الفلسطيني عبد الحميد الفرّان المولود في مدينة يافا، تلك الأحداث في شهادته التي وردت ضمن المجموعة الشعرية بقوله "قصت لي جدتي القصة بقولها: ذعُر الناس مما حصل في قرية دير ياسين، وقالوا هيا نهرب وننقذ أنفسنا، وبدافع عدم المساس بنسائهم، التي تُعتبر مساس بالشرف؛ فضلوا أن يتركوا أموالهم وكل ما يملكون؛ فقط من أجل أن يحافظوا على شرف أسرهم؛ بسبب ما سمعوا عن مذبحة دير ياسين. هكذا قالت لي جدتي،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي النهاية خسروا البيت والممتلكات، وسكن أشخاص يهود جدد في قريتهم"[١٣]. وقد جرت تلك الأعمال بمباركة الحكومة الإسرائيلية، التي عمدت إلى سن القوانين من أجل اخفائها، وطمس معالمها، ومن ذلك قانون سنة ١٩٥٥ الذي يُحدد مدة الكشف عن الوثائق السياسية بعد مرور ٣٠ سنة، والوثائق الأمنية والعسكرية بعد ٥٠ سنة، وبهذا القانون تم حضر الكشف عن كل ما له علاقة بالمذابح، وأعمال التدمير والتفريغ والتغييب، التي طالت المدن والقرى الفلسطينية خلال حرب ١٩٤٨ وما تلاها[١٤].

ثانياً: اطلاق اسماء عبرية على القرى والمدن الفلسطينية.

آثر بعض الشعراء استخدام أسماء القرى والمدن الفلسطينية، التي طالها التهويد، باسمها العبري الجديد، على أنّهم إنما يؤكدون على حقيقتها العربية المتجذرة في التاريخ، وفي وجدان الفلسطينيين؛ ذلك إنهم استخدموا اسماءها العربية الحقيقة، ولكن بكتابتها بالحروف العبرية. فعلى سبيل المثال نجد أن يافا تحولت إلى يافو، وصفد تحولت إلى تسفد. حيث يطالعنا الشاعر "אפרים תלמי" "أفرايم تلمي" بقصيدة "פינה בצפת" "ناحية في صفد" نشرتها صحيفة "דבר" "دافار" ١٩٥٤/١٠/١٥، صور فيها ما لحق بمدينة "صفد" الفلسطينية من طرد وتفريغ وتغييب يقول فيها:

קוֹרוֹת עֵצִים מְחֻרָכִים	أسقف خشبية شائطة
וַעֲרֵמוֹת שֶׁל אֲבָן.	وأكوام من الحجر
שׁוּחוֹת, בּוֹרוֹת וְגֵב עַל גֵּב	حفر، آبار، وجسد فوق جسد
וְאֵין שָׁלֵם אַף בַּיִת;	وليس هناك من بيت سالم
וְכָךְ רְחוֹב אַחַר רְחוֹב,	وهذا هو الحال من شارع إلى شارع
...	
מַה רַב בָּךְ הַחֻרְבָּן וָשֹׁד!	ما أكثر ما بكِ من خراب وشياطين!
מַה רַב בָּךְ קוֹץ וָשַׁיִת![١٥].	ما أكثر ما بكِ من شوك وحسك!.

لم يكن الشاعر مثل سابقيه الشعراء حينما يتحدثون عن القرى الفلسطينية بأسلوب غامض ومتنكر؛ بل صرّح باسم المدينة "صفد"، ولو باسمها العبري، ويرثيها، لهول ما لحق بها من جرائم، طالت حتى المحاصيل التي تركها أهلها دون حصاد، فأصبحت عرضة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدخان، ورماداً يتطاير مع الرياح، "שירים של קש ותבן" "قوافل من القش والتبن"، وأسقف البيوت التي هدمت على أهلها "קורות עצים מחרכים" "وأسقف خشبية شائطة"؛ فحولتهم أشلاء، تحت أكوام الأحجار "וערמות של אבן" "وأكوام من الحجر"، خراب وتدمير، حفر، وآبار مهدمة "שוחות, בורות וגב על גב" "حفر، آبار، وجسد فوق جسد"، وأجساد القتلى متناثرة فوق بعضها "ודמי צלול, עמק מאד" "ودم رائق، شديد العتمة" "הומה, פושט" "هادر، جياش، يسيل بعيداً" في كناية إلى كثرة القتل، وبشاعة صور الانتقام، التي لحقت بأهل مدينة صفد، ولم يسلم منها انسان أو جماد أو حيوان أو نبات، "ואין שלם אף בית" "وليس هناك من بيت سالم"، "וכך רחוב אחר רחוב" "وهذا هو الحال من شارع إلى شارع"، فكل شيء يتهاوى، ويتم تدميره بلا رحمة أو وازعٍ من ضمير؛ فلا صوت يعلو في مثل هذه الأحوال إلا صوت الجلاد الذي لا يرحم. ويرثي الشاعر مدينة صفد "הוי, צפת העיר" "آه يا مدينة صفد"، التي تحولت في لحظة إلى خراب "מה רב בך החרבן ושד" "ما أكثر ما بكِ من خراب وشياطين"، وتحولت مناظرها إلى ركام وأشواك وحسك "מה רב בך קוץ ושית" "ما أكثر ما بكِ من شوك وحسك". ونجده هنا قد اقتبس هذا المعنى من العهد القديم (مر... بني إسرائيل وقل لهم: إذا عبرتم الأردن وأنتم داخلون أرض كنعان فأبيدوا كل سكان تلك الأرض... ثم أنتم إن لم تبيدوا سكان الأرض، فالذين يبقون منهم، يكونون لكم كحسك في أعينكم، وأشواك في أجنابكم، ويشقون عليكم في الأرض التي تسكنونها) (العدد، الاصحاح ٣٣ : ٥٠ – ٥٦). وهكذا نجد إنّ طمس معالم القرى والمدن الجغرافية وخاصة أسمائها، تُعد من أهم القضايا التي شغلت الكثير من الباحثين والمؤرخين وعلماء الآثار، وهذا ما أكدته الباحثة نوجا كدمان بقولها "إنّ تغييب الأسماء العربية للمدن الفلسطينية يُعد بمثابة اصدار حكم عليها بطمسها وتأبيدها في مجاهل النسيان،... إذ إنّ أكثر من ٩٠٠٠ اسم لأماكن عربية في فلسطين قد اكتملت أسمائها العربية وتوطدت منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة، أي منذ الفتوحات العربية الإسلامية، في حين إنّ الأسماء العبرية لم تُشكل إلا ما نسبته ٥% فقط من تلك الأسماء، التي جرى تثبيتها في خرائط الانتداب البريطاني للبلاد"(١٦).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإلى الشاعرة الإسرائيلية "حيا فيرد"[١٧] "חיה ורד" بقصيدتها "אשקלון" "أشكلون" أي "عسقلان" أو "المجدل" الفلسطينية، وذلك قبل أن يطالها مسلسل التدمير والتغييب، ويُطلق عليها اسم "أشكلون"، تقول فيها:

לֹא צִלּוֹ שֶׁל אִילָן, רַק תּוּגַת חִדָּלוֹן וְשָׁרָשִׁים.	لم يكن ذلك ظل إيلان، بل كآبة الوجود والصخور
מַה רַבָּה הַדְּמָמָה עַל מוֹרְדוֹת אַשְׁקְלוֹן	فلما حط الصمت على منحدرات أشكلون
כִּדְמָמָה עַל מוֹרְדוֹת מִקְדָּשִׁים.	كان كالصمت في المذابح المقدسة
עַל הַחוֹף. כְּמַצֵּבוֹת דְּמָמָה	على الشاطئ كشواهد القبور الصامتة
אֶל מוּל גַּלִּים וְאוֹר יָמִים שׁוֹקֵעַ[١٨].	في مواجهة الأمواج وضوء النهار تتلاشى

ومن عنوان القصيدة "أشكلون"، أي عسقلان "المجدل" الفلسطينية، ذات التاريخ، الذي تم تحريفه وتزييفه، وطالها التهويد، الذي شمل حتى اسمها "أشكلون"، تصف الشاعرة صور الخراب والدمار، الذي أصابها على لسان الجندي اليهودي "אִילָן" إيلان، الذي يقف ومن خلفه تبدو صور الخراب الذي حل بالمدينة "מַה רַבָּה הַדְּמָמָה עַל מוֹרְדוֹת אַשְׁקְלוֹן" "فلما حط الصمت على منحدرات أشكلون" "عسقلان"، ولكنها بجذورها التاريخية العربية حاضرة بقوة في الأذهان، وماثلة في "כְּמַצֵּבוֹת דְּמָמָה" "شواهد القبور" و"מוּל גַּלִּים" "أمام أمواج البحر" المتلاطمة تشهد عن عروبتها، على الرغم مما أحدثه الاحتلال من تغييب لتلك الشواهد وتزييف لتاريخها. ثم تمضي الشاعرة في وصف صور الخراب، وإلى حد إنّ الصخور التي تتميز بالصلابة والقوة "שׁוֹקֵעַ שְׁתֵּי אֲבָנִים" "تمزقت وانهارت"، وذابت وتفتت و"לְהִתְבּוֹסֵס עַד כְּלוֹת בְּמַיִם וּבְחוֹל" "غاصت تحت المياه والرمل"، للدلالة على إنّ كل شيء قد تم تدميره، وطمسه بالكامل، ولم يبقى أي أثر للحياة، التي كانت تعج بها المدينة، وتصف الشاعرة اليهود كأنهم "תַּנִּים" "ذئاب" مفترسة انهالت على فريستها من كل النواحي، فذابت المدينة واندثرت على حين غرة. إنّ تلك الصور والأحداث تؤكدها "سهام فلاح"، وهي احدى الناجيات الفلسطينيات، في شهادتها التي وردت ضمن المجموعة الشعرية، والمولودة في مدينة حطين الفلسطينية سنة ١٩٣٩، بقولها: "بعد إن سقطت قرية شلوبيا أحسسنا في حطين بالخطر، وقرر الناس الخروج، بعد إن قتل الكثير من شباب حطين في المعركة،

وأتذكر حينما جاءوا بجثث القتلى محمولين على الأكتاف، وتم دفنها في مقبرة النبي شعيب. وهكذا تركنا القرية في موسم الحصاد، والحنطة كانت لا تزال في سنابلها، ولم يتم حصادها، بسبب الخوف الشديد، الذي عم الناس؛ بعدما سمعنا ما حصل في قرية دير ياسين، وكيف فعلوا بالنساء والفتيات هناك، وقررنا الخروج، ودُمرت قريتنا بالكامل(١٩).

ثالثاً: جذرية الوجود العربي في القصيدة العبرية.

أثر بعض الشعراء الإسرائيليين في قصائدهم، وربما دون أن يعلموا، استخدام إشارات ورموز فيها الكثير من الدلالة على جذرية، وقدم القرى والمدن الفلسطينية، التي طالها مسلسل التفريغ والتغييب؛ من أجل تنشئة جيل يهودي جديد لا يعترف بوجودها تحت المستوطنات. حيث تطالعنا الشاعرة الإسرائيلية "לאה גולדברג" ليئة جولدبرج بقصيدتها الطويلة "משירי ציון" "من قصائد صهيون"، نشرتها صحيفة "דבר" "دفار" سنة ١٩٥٥، وفي المقطع الثالث منها، والذي جاء بعنوان "עֲצֵי זַיִת" "أشجار الزيتون" تقول فيها:

הַקְשֵׁב, הַקְשֵׁב לְמַשַּׁב	أنصت، أنصت لهبوب
הָרוּחַ בְּנוֹף הַזֵּיתִים,	الرياح في مشهد أشجار الزيتون
אֵיזוֹ צְמִיחָה עֲנָוָה!	يا له من ازدهار متواضع
הֲתִשְׁמַע? הֵם אוֹמְרִים עַכְשָׁו	أتسمع؟ إنهم يقولون الآن
דְּבָרִים נְבוֹנִים וּפְשׁוּטִים(٢٠).	كلمات جوفاء بسيطة.

ومن عنوان القصيدة "أشجار الزيتون"، التي تُعد من صفات الأرض الفلسطينية، وقديمة ومتجذرة فيها قدم وتجذر الشعب الفلسطيني نفسه، وهي بمثابة رمز من الرموز الوطنية والقومية لهذه الأرض، وتتحدث الشاعرة عن قرية طالها التدمير والتفريغ والتغييب من غير ذكر اسمها أو مكانها "הַכְּפָר שֶׁחָרַב" "القرية التي دُمرت"، وهي إنما تساير باقي الشعراء في طمس القرى والمدن الفلسطينية وتغييبها، وانكار وجودها، وتتحدث الشاعرة عن مجموعة من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجنود الإسرائيليين، الذين انتهت مهمتم عند طلوع النهار "עָמְדוּ בְּנִסְיוֹן הַשָּׁרָב" وقفوا تحت حرارة الشمس" بعد ليل من العمل "וּבָאוּ בְּסוֹד הַסַּעַר" وجاءوا بغموض في العاصفة" أي إن عملهم كان بسرية تامة تحت جنح الظلام!، ووقفوا على منحدر التل المواجه للقرية "הַגִּבְעָה מוּל הַכְּפָר" "التل أمام القرية" التي دُمرت بالكامل، ولم يبقى لها أثر، وهم يتطلعون إلى المنظر الذي خيم عليه الهدوء والصمت "עֲמֹד, מַה גְּדוּשָׁה הַשַּׁלְוָה" "قف، ما أعظم الهدوء" ولا يشاهدون فيها أي أثر للحياة، ويقول أحدهم "הַקְשֵׁב, הַקְשֵׁב לַמַּשָּׁב" "انصت، انصت لهبوب" الرياح، التي تضرب بأشجار الزيتون "הָרוּחַ בַּנּוֹף הַזֵּיתִים" "الرياح في مشهد أشجار الزيتون"، والتي بقيت صامدة تحكي للأجيال المتعاقبة عن هول ليل طويل مر على تلك القرية؛ وأهلها الذين تفرقوا في كل الأنحاء، ولم يُسمح لهم بالعودة إلى ديارهم بعد انتهاء الحرب.

ويطالعنا الشاعر الإسرائيلي "أفا كوببنر" "אבא קובנר" بقصيدة "وداع الجنوب" "פרידה מהדרום"، يصور فيها مشاهد التفريغ والتغييب، التي تعرضت لها إحدى القرى الفلسطينية، دون ذكر اسمها، تمهيداً لإعادة استيطانها من قبل اليهود، من خلال حديث يدور بين اثنين من الجنود الإسرائيليين مرا بهذه القرية، وهما في طريقهما لتنفيذ إحدى المهمات الموكلة لهما خلال حرب ١٩٤٨ يقول فيها:

וְקָם אֶחָד בַּשָּׂדֶה	نهض أحدهما في ساحة المعرك،
וְקוֹלוֹ כְּמוֹ הַלַּיְלָה הַזֶּה:	وصوته في مثل هذه الليلة:
"הֲנַגִּיעַ - וְאֵיךְ?"	هل سنصل- وكيف؟
זֹאת יָדַע בַּלַּיְלָה הַזֶּה	كان يعلم أن هذه الليلة
כְּבְכָל הַלֵּילוֹת	ليست كسائر الليالي
אֲשֶׁר יָקוּם וְיֵלֵךְ(٢١).	التي يقوم فيها ويذهب.

يبدأ الشاعر قصيدته بصرخة لأحد الجنود، والتي كانت مثل صرخة مدوية في فضاء مهول بقوله "הֲנַגִּיעַ - וְאֵיךְ?" "هل سنصل- وكيف؟" صرخة في فضاء يشبه الهاوية "וְקוֹלוֹ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

כְּמוֹ הַלַּיְלָה הַזֶּה" "أشبه بتلك الليلة"، كانت ليلة مهولة، وطويلة بأحداثها، وبما رافقها من أهوال، وبما أثقلت به من مشاهد القتل والتدمير، واصفاً أحداثها على لسان الجندي، الذي يقول عنها إنها ليست كباقي الليالي "כְּבְכָל הַלֵּילוֹת" "ليست كسائر الليالي"، التي يلتحق بها إلى الجبهة ثم يعود منها. ويصور القرية، التي لم يبقى منها سوى أطلال "בְּאֵרוֹת-קְדוּמִים" "آبار قديمة"، تحكي عن قدم هذه المدينة المتجذرة بالتاريخ، وكيف خيم عليها السكون، بعد إن كانت مفعمة الحياة، التي لم يبقى أي أثر لها "וְרַק שִׁכְשׁוּךְ שֶׁל מַיִם" "إلا خرير المياه" المنسابة. ويبدو من سياق القصيدة إنّ الجنديين كانا يبحثان عن المياه، وما إن نزلا إلى البئر؛ حتى علا منه صوت قديم بقدم هذه الآبار يدعوهم إلى مواصلة السير والخروج من المكان، الذي لا تربطهم به صلة، وكانت "הִנֵּה צְעָדֵינוּ כְּבֵדִים" "خطواتهما واهنة" وضعيفة؛ لأن "מוּזָרוֹת רַגְלֵינוּ כָּאן" "أقدامهما غريبة هنا" في هذا المكان، وهذه المياه إنما هي سبيل المسافر وعابر السبيل، وليست للذين يغتصبون الأرض من أهلها، ثم يمضي الجندي بالقول لصاحبه هل نتراجع أم نواصل الحرب، ونستولي على المزيد، أم نترك ذلك لأحفادنا، "בְּגַל אֶל זַרְעוֹתֶיךָ" "دفعة واحدة إلى نسلك" أي نتركها لأحفادنا، وهم يكملون المهمة، ويستولون على كل الأرض دفعة واحدة "הָאֲדָמָה הַזֹּאת" "هذه الأرض". ولا بد من التأكيد على إنّ العهد القديم يعتبر فلسطين- بالنسبة إلى إبراهيم وإسحاق ويعقوب (عليهم السلام) ونسلهم من بعدهم- أرض غربة (وظهر الرب له(إبراهيم) وقال له إنّ نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم) (تكوين، الاصحاح١٥: ٣)، (وتغرب إبراهيم في أرض الفلسطينيين أياماً كثيرة) (تكوين، الاصحاح٣٤: ١٢)، (كان أبي آرامياً تائهاً) (التثنية، الاصحاح ٢٦: ٥)، ويفسر الربي شموئيل بن ميمون ذلك بقوله "كان إبراهيم آرامي تائه ومهاجر من أرض آرام ... وإنّ كلمة تائه دليل على الانسان المهاجر.. أي إنّ آباؤنا جاءوا من أرض غريبة إلى هذه الأرض"(٢٢).

وكشهادة على تلك الأفعال، وتخليداً لها، يقول الفلسطيني حسن العجو المولود عام ١٩٣٠ في اللد، في شهادته المنشورة في هذه المجموعة والتي جاءت بعنوان (قليل جداً من المشاهد الطبيعية، كثير جداً من القتل) يقول فيها "بينما كنا نبحث عن الطعام في البيوت التي هرب منها أهلها، رأيتُ بأم عيني جثث رجال متورمة في الشارع، وقد امتلأت البيوت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بجثث العجائز المتورمة أيضاً، وكانت الجثث ملقاة في كل مكان. ثم ذهبنا إلى عجو في نهاية اللد، وبقينا مختبئين هناك في مزارع الكروم حوالي شهراً كاملاً بدون أي شيء، وقد فتشنا البيوت التي تم طرد أهلها، بحثا عن الطعام ولكن دون جدوى"[٢٣]. وهو ما أكد عليه الإسرائيلي جرشون ريفيلين في كتابه "دافيد بن جوريون يوميات الحرب ١٩٤٧-١٩٤٨" بقوله "أدت تلك الأعمال التي قام بها الجيش الإسرائيلي تجاه المدن والقرى الفلسطينية في حرب ١٩٤٨ وما تلاها إلى تدمير وتفريغ خمس مدن فلسطينية ومحوها وتغييبها بالكامل، وهي طبرية وصفد وبيسان وبئر السبع والمجدل (عسقلان)، إضافة إلى تدمير وطمس وتغييب خمس مدن أخرى بشكل شبه كامل، وهي يافا وحيفا وعكا واللد والرملة، بالإضافة إلى تدمير ومحو كل الأحياء العربية في مدينة القدس الغربية، التي احتلتها إسرائيل في حرب ١٩٤٨، وهي أحياء الطالبية والقطمون والبقعة الفوقا والبقعة التحتا[٢٤].

وعلى العموم، فأنّ الفكرة الرئيسية التي قامت عليها هذه القصائد، تكمن في أمرين أساسيين، الأول تفريغ القرى والمدن الفلسطينية وتغييبها بالكامل، والأمر الثاني يكمن في طمس أسماءها ومعالمها العربية، من خلال التوافق فيما بين الشعراء والمؤسسة الرسمية الإسرائيلية، على طمس وتغييب كل المعالم الجغرافية والتاريخية، ومحو كل أسماء القرى والمدن العربية، فنجد هؤلاء الشعراء مثلاً، وعلى الرغم من كل ما بدر منهم من التعاطف الإنساني، والشعور بتأنيب الضمير؛ تجاه ما حل بالشعب الفلسطيني من ظلم، إلا إنّ هذا التعاطف كان موجهاً فقط نحو تفريغ حالة الشعور بتأنيب الضمير، ومن ثم تبرير الكيفية التي تعامل بها الجنود اليهود مع الفلسطينيين، ودون التعرض إلى ما عاناه الشعب الفلسطيني بصورة مباشرة في قصائدهم.

النتائج:

على الرغم من محاولات الصهيونية، الرامية إلى طمس المعالم الجغرافية والتاريخية للقرى والمدن الفلسطينية، التي طالها التفريغ، والتغييب، والتهويد ، إلا إننا نجد إنّ صدور المجموعة الشعرية "لا تخبروا في جت" "אל תגידו בגת" بعد مرور أكثر من ستين عاماً على النكبة الفلسطينية، وقيام إسرائيل، أكبر دليل على إنّ تلك القرى والمدن المغيبة؛ لا تزال

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قائمة في أذهان اليهود دليلاً شاهداً على عروبتها. ولقد توصلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

١- ظهرت بعض القصائد ظروف نشأة "إسرائيل"، التي قامت على أنقاض القرى والمدن الفلسطينية، ودماء أهلها، الذين طالهم مسلسل القتل والطرد، ونجد فيها على أنها تعديل لمسار التاريخ، الذي اختلقته الصهيونية، والمؤسسة الرسمية الإسرائيلية معاً.

٢- سيطرت فكرة تصوير الواقع الإسرائيلي الجديد، مدعوماً بإرث اليهودية والصهيونية، على أغلب الشعراء في قصائدهم، فانطلقوا من الماضي؛ لدعم توصيف الحاضر والمستقبل، من خلال تقمص شخصيات وأحداث دينية وتاريخية يهودية، وسحبها على الواقع؛ الذي يعيشه اليهود خارج فلسطين، مؤكدين بذلك على إنّ خلاص اليهود من شتاتهم؛ لن يتم إلا بعودتهم إليها.

٣- على الرغم من وجود بعض القصائد التي تحمل طابع الاستنكار والاستهجان تجاه الممارسات الغير أخلاقية للجنود الإسرائيليون، وإظهار التعاطف الانساني مع صور التدمير والتخريب، الذي لحق بالقرى والمدن الفلسطينية، إلا إنّ ذلك لا يتعدى حالة الشعور بالذنب وتأنيب الضمير لهؤلاء الشعراء، لأنهم على سبيل المثال لم يشيروا بأصابع الاتهام إلى دولتهم وجيشهم الذين تسببوا بكل تلك الأفعال.

٤- كان الموضوع الأساسي لأغلب القصائد، تفريغ وتغييب القرى والمدن الفلسطينية، ومحو أي دليل على تاريخها العربي المتجذر، في حالة من شبه الاجماع بين الشعراء والمؤسسة الرسمية الإسرائيلية. عبر استخدام ألفاظ (قرية مهجورة "כפר נטוש"، قرية ميتة، الصحراء "המדבר"، الرمال "חולות"، مشهد القرى المهجورة "בנוף הכפרים הנטושים".. إلخ)، تطبيقاً لمبدأ (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض).

٥- على الرغم من كل محاولات التفريغ والتغييب، التي لحقت بالقرى والمدن الفلسطينية، إلا إنّها ظلت المحور الأساس، لكثير من قصائد هذه المجموعة، ولو بأسمائها العبرية، فنجدها حاضرة بقوة فيها من خلال تاريخها وسماتها العربية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الهوامش:

(١)قرانيا، محمد: النزوع العنصري في الأدب الصهيوني، اتحاد الكتاب العرب – سلسلة دراسات ١٢، دمشق، ٢٠١١، ص٥٤-٥٥.

(٢)ضيف، د.محمد فوزي: دراسات في الأدب العبري المعاصر، أرابيسك أنطوان شماس وشخصية الفلسطيني في إسرائيل بين الاحتواء الصهيوني والانتماء القومي العربي، مركز حورس جرافيك للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٩٧.

(٣)שלו، עמיחי: די לטשטש, עיתון ידיעות אחרונות, 2010/1/29. (علام، د.عمرو عبد العلي: النكبة الفلسطينية في الشعر العبري المعاصر، دراسة في بعض قصائد "لا تخبروا في جت" مصدر سبق ذكره، ص٤٤٥).

(٤)אריאל הירשפלד: כמעט כל מה שנשאר על הנכבה בתחום השירה העברית נמצא בכתב העת "סדק", עיתון הארץ, 2010-1-10.

(٥)קדמן، נגה: בצדי הדרך ובשולי התודעה، דחיקת הכפרים הערביים שהתרוקנו ב 1948 מהשיח הישראלי:

http://www.Text.Org.il/index.Php?Book=0810081.

(٦) تأريخ الدخول ٢٠١٤/١/١١:

http://go.Microsoft.Com/fwlink/?Linkid=121315.

(٧)مزعل، غانم: الشخصية العربية في الأدب العبري الحديث، دار الجليل للنشر والدراسات والبحوث الفلسطينية، عمان، الأردن، ١٩٨٦، ص٧٨.

(٨)דניאל בן נחום: כפר נטוש, אל תגידו בגת, הנכבה הפלסטינית בשירה העברית 1948-1958, אסופת שירים, הוצאת משותפת של זוכרות, סדק, פרדס, ופרהסיה, 2010, (ע"מ 83).

(٩)חנן חיבר: אל תגידו בגת, שם, ע"מ 9.

(١٠)שם, ע"מ 25.

(١١)דן פגיס: הכפר המת, אל תגידו בגת, שם, (ע"מ 157).

(١٢)קדמן، נוגה: שם.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١٣)חבר، חנן: אל תגידו בגת، שם، ע"מ 181-180.

(١٤)سليمان، د.علي: العنف في الأدب الصهيوني، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة السورية، دمشق، ٢٠١١، ص ١٢٢-١٢٣.

(١٥)אפרים תלמי: פינה בצפת، אל תגידו בגת، שם، ע"מ 140.

(١٦) קדמן، נוגה: שם.

(١٧)حيا فيرد "חיה ורד" (١٩٢١-١٩٩٧): شاعرة إسرائيلية ولدت في بولندا، هاجرت مع اسرتها إلى فلسطين سنة ١٩٢٤، وسكنت في حي مونتفيوري في تل أبيب، عملت معلمة في كيبوتس حفرعام "גברעם" اشتركت في حرب ١٩٤٨، نشرت قصائدها في الكثير من الملاحق الأدبية للصحف الإسرائيلية وخاصة صحيفة "دافار" "דבר". أهم أعمالها: שומרת הלילה (الحارسة الليلية) ١٩٤٧، נטפים (قطرات) ١٩٤٩، שירים על חרב ומיתר (قصائد عن السيف والوتر) ١٩٥٥، للمزيد انظر: חיה ורד: לקסיקון הספרות העברית החדשה: https://library.osu.edu/projects/Hebrew-lexicon/01393.Ph.

(١٨)חיה ורד: אשקלון، אל תגידו בגת، שם، ע"מ 76-77.

(١٩)חבר، חנן: אל תגידו בגת، שם، ע"מ 92-93.

(٢٠)לאה גולדברג: משירי ציון، אל תגידו בגת، שם، ע"מ 183.

(٢١)אבא קובנר: פרידה מהדרום، אל תגידו בגת، שם، ע"מ 70.

(٢٢)מינקוביץ، הרב ד"ר מאיר: הבעיה מי הוא יהודי- באספקלריא משפטית היסטורית، הוצאת ספר-חרמון، תל-אביב، 1975، ע"מ 8.

(٢٣)חבר، חנן: אל תגידו בגת، שם، ע"מ 138.

(٢٤)ريفيلين، جيرشون، والحنان أورن: دافيد بن جوريون - يوميات الحرب ١٩٤٧-١٩٤٨، ترجمة سمير جبور، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان، ١٩٩٣، ص٤٥٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخلاصة:

كان دور الشعر العبري المعاصر في مجمل الأحداث التي رافقت قيام "إسرائيل" في فلسطين سنة ١٩٤٨، وما تلاها، محور الدراسة الموسومة، تهويد القرى والمدن الفلسطينية في الشعر العبري المعاصر(التفريغ والتغييب) لبعض القصائد التي وردت ضمن المجموعة الشعرية "لا تخبروا في جت" "אל תגידו בגת". وقد قُسمت الدراسة إلى مقدمة وثلاثة محاور. حيث تطرقت المقدمة إلى الشعر العبري المعاصر، وكيف وظّفت الحركة الصهيونية الشعراء واستخدمتهم لتحقيق أهدافها في فلسطين. المحور الأول: ويبحث في القصائد التي تناولت تفريغ القرى والمدن الفلسطينية وتغييبها بالكامل. والمحور الثاني: يتناول اطلاق القصائد العبرية أسماء عبرية على القرى والمدن الفلسطينية. وأما المحور الثالث: يتناول جذرية الوجود العربي في القصيدة العبرية. وأخيراً النتائج التي توصلت إليها الدراسة. ونرجو من الله أن نكون قد وفقنا في التعريف بالدور الذي لعبه الشعر العبري في طمس هوية فلسطين العربية ومن ثم تهويدها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Abstract:

The role of the contemporary Hebraic poetry in all events that came with the rising of Zionist entity in Palestine 1948, was our object of study "Judaizing the Palestinian villages and cities in the contemporary Hebraic poetry (displacement and transformation)" for some poems that came into the poetry collection "Don`t tell Jet". We divided the study to introduction and three subject, the introduction dealt with the contemporary Hebraic poetry and how the Zionism had employed the poets to realize their aims in Palestine, the first subject dealt with the poems that studied the displacement of the villages and cities, the second subject studying the naming of the Palestinian villages and cities with Hebraic names by some Hebraic poems. And the third subject discussing the origins of the Arabic existence in the Hebraic poem. At the end. We have the results that study reached.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner